مجلة كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار

المجلد الثالث عشر العدد الثالث2023

ISSN:2707-5672

هيأة التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيأة التحرير

ا.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

ت	الاسم	الجامعة	الاختصاص
1	أ.د. سعد علي زاير	جامعة بغداد	طرائق تدريس
2	أ.د. مصطفى لطيف عارف	جامعة ذي قار	اللغة العربية
3	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	جامعة كربلاء	علم النفس
4	أ.د. عماد ابراهيم داود	جامعة ذي قار	اللغة الانكليزية
5	أ.د. صلاح الدين احمد	جامعة عمان	علم النفس
6	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	جامعة اسيوط	الجغرافية
7	أ.د. عثمان برهومي	جامعة صفاقس/تونس	التاريخ
8	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	جامعة ذي قار	التاريخ
9	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	جامعة البصرة	ارشاد تربوي
10	أ.م. انتصار سكر خيون	جامعة ذي قار	الجغرافية

الاشراف اللغوي

م.د اسعد رزاق يوسف اللغة االعربية

م.د حسن كاظم حسن اللغة الانجليزية

ادارة النظام الالكتروني: م.م محمد كاظم

الاخراج الفني: م. علي سلمان الشويلي

المحتويات

ت	اسم الباحث و عنوان البحث
1	التلكؤ الاكاديمي وعلاقته بالاغتراب الاجتماعي لدى طلبة الجامعة أ. د عبد الكريم عطا الجابري م.م أسراء نزار موسى الحصونه
2	سياسة الولايات المتحدة الامريكية للحد من النفوذ الشيوعي في فرنسا 1952-1947 أ.د. عباس حسين الجابري م.م. رؤى شاكر جاسم
3	جهود ابن عقدة في التفسير م. د. كريم مجيد ياسين الكعبي
4	أطر تناول مواقع الصحف العربية الدولية لأزمة الملف النووي الإيراني دراسة تحليلية لمواقع الصحف (الشرق الأوسط ، الاهرام ، الزمان) أحمد عباس كاظم الشطري أ.م.د. أنمار وحيد فيضي
5	إشكاليّة الهُويّة والاغتراب في الشعر الصوفيّ أ.م ميّادة عبد الأمير كريم
6	الاستراتيجية التلميحية في قصيدة محمد عبد الباري ما لم تقله زرقاء اليمامة(مقاربة تداولية) م.د. مطلق رزيج عطشان
7	أسباب ارتكاب جرائم المخدرات في العراق من منظور جيوسياسي ماهر حيدر نعيم الجابري أ . د لطيف كامل كليوي
8	استنطاق الحيوان الأليف في شعر العصر العباسي الثاني (334-656هـ) دراسة تحليلية فنيـــــة عمر عبد الله نزال ياسر علي الخالدي
9	الامتداد الساساني الى فلسطين ومصر (602-629م) في المصادر البيزنطية (حوليات ثيوفانيس (ت 818م) التاريخية البيزنطية وفي تاريخ أنطيوخس استراتيجوس أ.م. د. أمل عجيل ابراهيم الحسناوي م. م. محمد سلمان حمود الصافي
10	ظاهرة الغموض في قصيدة النثر العربية (ادونيس) انموذجا م .د. علي عبد الرحيم كريم

11	الحاجة الى التجاوز لدى رؤساء ومقرري الاقسام العلمية في جامعة ذي قار علا شمخي كريم أ.م.د عبد العباس غضيب شاطي
12	دور الرواية التاريخية واثرها في صناعة المقدس أ.م.د. جمعة ثجيل عكلة الحمداني
13	مضامين افلام الرسوم المتحركة في القنوات الفضائية المتخصصة للأطفال – دراسة تحليلية كاظم كريم الحسني
14	الاستقرار النفسي لدى المرشدين التربويين أ.د انعام قاسم خفيف الصريفي امجد راضي بري الخفاجي
15	النشاط السياسي الصهيوني خلال الحرب العالمية الاولى (1914- 1918) م.م. فلاح علي دليل
16	التلقيح الصناعي في منظور الشريعة الإسلامية (دراسة مقاصدية تطبيقية)
17	التمثيل الخرائطي لزحزحة الأقاليم الحرارية العظمى في محافظة ذي قار أ.م.د. وسام حمود حاشوش طيب حسين كاظم عطشان
18	بلاغة اللقطة السينمائية وتشكيلها البصري في شعر كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ) أ.م.د. حيدر رضا كريم
19	التحليل المكاني للتركز الصناعي وآثاره السكانية والاقتصادية في محافظتي النجف وبابل لعام 2018 أ.د حسين جعاز ناصر الفتلاوي أ.م.د مهدي ناصر حسين الكناني
20	الزندقة والغلو في العصر العباسي قراءة تاريخية في الأساليب وأشكال الرد العربي الإسلامي أ.م.د.نازدار عبدالله محمد سعيد
21	نقد النقد المقارن في الدرس الأكاديمي العراقي تجربة عبد المطلب صالح أنموذجا م. د. جليل صاحب خليل الياسري

الموقف الأمريكي من العدوان الصهيوني على حمام الشط التونسي عام ١٩٨٥ في ضوء جريدة الجمهورية المصرية ا.م.د فاطمة فالح جاسم الخفاجي	22
براعة الاستهلال واستحضار المثل بين الأخطل والكميت (دراسة موازنة) م.د نوال مطشر جاسم	23
المرونة التكيفية وعلاقتها بالابداع الجاد لدى المرشدين التربويين م.د زينب جميل عبدالجليل	24
الخصائص التضاريسية والمورفومترية لحوض وادي بشاديم في محافظة دهوك ا. م. د فالح شمخي نصيف * ابوالحسن عبد الكريم جميل	25
منهج البحث الفقهي عند السيد محمد رضا السيستاني دراسة استقرائية تطبيقية فقهية في كتاب وسائل الانجاب الصناعي المدرس الدكتور مصطفى جعفر عجيل الابراهيمي	26
الانفتاح العقلي لدى طلبة جامعة ذي قار سرى محمد عبد الخضر أ.د عبدالباري مايح الحمداني	27
الأمن الفكري وعلاقته بتوجهات المستقبل لدى طلبة المرحلة الإعدادية أحمد سلطان سرحان السعداوي	28
BETWEEN REALITY AND FANTASY "PETER PAN" AS A CASE STUDY م. ماجد داخل حمادي م.م حيدر عبد الرزاق عودة احمد محسن مشكور	29
Loss of Secure Base and its Relationship with Attachment Anxiety in Morrison's Sula د.رافع محسن علوان	30
Evaluating "Test Design and Assessment" Curriculum from Iraqi 4th Year College Students' Point of View حسن كاظم حسن	31
The Figuration of Exile in selected poems by Ezra Pound Assoc. Prof. Dr. Raid Althagafy	32

إشكاليّة الهُويّة والاغتراب في الشعر الصوفيّ

أ.م ميّادة عبد الأمير كريم

قسم اللغة العربيّة- كليّة التربية للعلوم الانسانيّة- جامعة ذي قار

altememyabbas@gmail.com

الكلمات المفتاحية : الشعر الصوفيّ ، الهُويّة ، الاغتراب ، الأُنس

الملخص :

نال الشعر الصوفيّ اهتمام الدارسين ، وكان مادةً لبحوثهم في كثير من الموضوعات ؛ لما له من مكانةٍ وحضور في الأدب العربي استحق من خلالها هذا الاهتمام ، وكان من بين ما انماز به الشعر الصوفيّ من خصائص حضور ظاهرة الاغتراب في قصائد شعراءه ، وهو في أكثر من موضع كان اغترابًا روحيًا ونفسيًا الى جانب كونه اغترابًا مكانيًا ، ذلك أنَّ المتصوفة حلّقوا في سماء العشق الإلهيّ، وأفاض عليهم المولى سبحانه من فيوضاته الربانيّة ما جعلتهم ينشدون موطنًا علويًا غير موطنهم ، فسعوا جاهدين إلى إثبات هويتهم الخاصة التي تميزهم عن غيرهم سواء أكان على مستوى الفكر أم السلوك ليقدموا في سبيل (هويتهم الصوفية) ما أمكنهم تقديمه من قرابين ولم يزدهم رفض الآخرين، وقسوة السلطة إلّا إصراراً وعزيمة فهجروا النّاس، واعتزلوهم، وعانوا الاغتراب من أجل ذلك ،وفي هذا البحث حاولت استجلاء إشكالية الهوية والاغتراب عند الشعراء المتصوفة عن طريق ما عرضوه في أشعارهم من غربةٍ وهجرٍ ، ووحشةٍ وأنسٍ ، ووصلٍ للحبيب .

JOURNAL OF THE COLLEGE OF EDUCATION FOR HUMANITIES, VOLUME 13, ISSUE 3, 2023
ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد (13) العدد (3) 2023

The confusion and the ambiguity in the identity and alienation of Sufi poetry

Mayyadah abdualameer kareem

College of Education for Humanities, University of Thi Qar-Thi Qar- Iraq

altememyabbas@gmail.com

Keyword : Sufi poetry , identity , alienation , restfulness.

Abstract

Sufi poetry gained the attention of the scholars and was a material for their researches on many topics because of its presence in the literary arena and one of the characteristics of Sufi poetry was the evoking the alienation feature in the poems of the poets and it varied between spiritual alienation and the material alienation . The Sufis soared in the sky of divine love , and the Lord Almighty bestowed upon them His divine gift , which made them seek a lofty place other than to their owns , so that they have worked hard to prove their own identity that distinguishes them from others , whether at the level of thoughts or behavior . they have presented the sacrifices for their identities , yet the rejection of the other and the cruelty of power only made them more insistent .In this research we tried to elucidate the confusion of the identity among the Sufi poets through what they presented in their poem of alienation , abandonment , loneliness and restfulness .

الشعر الصوفي :

يُعدُّ الشعر الصوفيّ فناً أدبيّاً ، أبصر النور على أثر ظروف خاصّة فبدأت إيقاعاته تطرق الأسماع ليدخل الساحة الفكريّة والأدبيّة بكلّ قوته ، مثبتاً كيانه عن طريق ما وظَّفه من لغة رقيقة وما اعتمده من عاطفة صادقة ، ساعياً نحو بث رؤاه وأفكاره الخاصّة المشحونة بالدلالات والرموز ، فاستطاع الشاعر الصوفيّ بطهارة روحه ونقاء سريرته التي ازدانت بها قصائده من انعاش المشاعر الإيمانيّة ومخاطبة الروح الإنسانيّة، وسبر أغوارها، محلّقاً بها نحو عالم الكمال .

وقد وجد الشعر الصوفيّ صداه في النفوس فـ((القارئ للشعر الصوفيّ ، والمتمعن في جمال لغته ، وطريقة نظمه وتنوع أساليبه ، يجد أنَّ لغة التصوف في جماليتها المميزة لها تخلق وحدة فنيّة ، ومن ثمَّ شعورية فكريّة ترتفع بالمشاعر ، وهي تعبر عن تجربة عرفانيّة فريدة ، تكشف الدلالة عن وعي مرهف ، وحسّ وثّاب ، قائمة على القصدية ، منفتحة على تصور شديد الخصوصية))[1].

كانت غاية الصوفيّ نشدان عالم علويّ ، بعيداً عن قوالب العالم الواقعيّ ساعياً إلى التحرر من سحنته الماديّة والانفلات من عقال أدواته ، فجاءت تجربته الصوفيّة تجربة لغويّة (خاصّة) ، تُحطّم المنظومة العامّة لتخلق منظومة فئويّة أخرى ، وهذا التحطيم والخلق يُطال اللغة بطبيعة الحال كما يُطال بُناها التركيبيّة، والنحويّة، والصوتيّة، والدلاليّة ، وبعبارة أخرى أنَّها تعيد إنتاج الدلالة لتخلق منها رؤية خاصة تظل متوارية في المعجم الصوفيّ الذي تُحصّن فيه المتخيل الصوفيّ من نهش الآخر المناوئ [2].

وتوحّد الصوفية بين الكتابة والحياة ، فلا يكفي أن نكتب الشعر، وانما يجب أن نحياه [3]،والشاعر الصوفيّ في كل ذلك يمتح من الباطن لغة مباينة للغة النّاس هي لغة الخصوص لا العموم ، ولغة الرمز لا التصريح ، وهو بغموضه هذا لا يُخرج كل ما في داخله ؛ لأنَّه مؤمن بأنَّ من يريد أن يعرف حقيقة التجربة الصوفيّة فعليه أن "يذوقها" لا أن يقرأها فحسب[4]، وكانت غايته وهو يخوض غمار هذه التجربة الرحبة وهدفه الأخير هو التماهي مع المطلق وعودة الى أصل الخلق الذي انبثق منه الوجود [5] .

وفي الواقع مثّل التصوف (الحقّ) حقيقة اشتياق الروح لخالقها ، فهي عاشقة للذات الإلهية ، هائمة في عوالم المعرفة والعرفان ، لا تُبصر شيئاً غير نور الله ،ولا تستشعر شيئاً سوى الشوق إليه ، انَّها سكرى محلّقة دائماً ، تأبى أن تصحو كي لا تعيش واقعاً دنسّته الآثام .

من هنا بدأ التصوف دينيّاً وأخلاقيّاً ممزوجاً بالفكر المعرفيّ ، وانتهى فلسفيّاً في مراتبه العالية قبل أن تنصرف إلى تحويله العامة من المسلمين إلى مجرد مشيخة طرق صوفيّة تحكمها الضلالات والبدع ،

فالتصوف بوصفه تجربة إنسانيّة هدفها تحرير الذات الإنسانيّة من أسر المادة والشهوات والانطلاق نحو عوالم الغيب، والطهارة ، والسمو هو جوهر متشابه بين شعوب الأرض على اختلافها[6] .

الهويّة وأنواعها في الشعر الصوفي :

يُعدُّ مفهوم الهويّة من أكثر المفاهيم استعمالاً وشيوعاً في حياتنا، وهو مفهوم يُطلق على نسق من المعايير التي يُعرف بها الفرد ويُعرّف ، وينسحب ذلك بطبيعة الحال على هويّة الجماعة والمجتمع ، ويعد من المفاهيم المركزيّة التي تسجل حضورها الدائم في مجالات الحياة المتعددة ،فهو من أكثر المفاهيم تغلغلاً في حياتنا الثقافيّة والاجتماعيّة اليوميّة ، انها –الهويّة– حقيقة تولد وتنمو، وتتكون وتتغاير، وتشيخ وتعاني من الأزمات الوجوديّة والاستلاب[7].

فالهويّة على حد تعبير الشريف الجرجانيّ هي : ((الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق))[8]، ولفظة الهويّة بالعربيّة تقابل (Identity و Identite) في الفرنسية والإنكليزيّة ، وهي من أصل لاتيني وتعني الشيء نفسه ، أي له الطبيعة نفسها التي تكوّن الشيء الآخر ، وتعني في اللغة الفرنسيّة : مجموع الصفات التي تجعل من شخص ما هو عينه شخص معروف أو مُتعين[9].

ويصعب تحديد الهويّة إيجاباً ، لكنه يسهل تحديدها سلباً أي فقدان الهويّة وعدم الشعور بها يُحدث ما يسمى بالاغتراب[10] ، بمعنى أن تخرج الهويّة خارج الحدود ليصبح الاغتراب بديلاً عنها ، إذ يرى الإنسان فيه وجوده ، وينسى وجوده الأصلي لتتحول الهوية الى اغتراب ، عندما تنقسم الذات على نفسها بين ما هو كائن ، وما ينبغي أن يكون بسبب الاستبداد الواقع عليها [11] .

ولعل مبدأ الهويّة يتجسد في الصيغة التالية : (((أ هي أ) ، وهذه الصيغة لا تقول أنَّ كل (أ) (هو هو) ، بل أنَّ كل (أ) متطابق مع ذاته .. وهذا المبدأ يخبرنا عن طريقة وجود كل ما هو موجود من حيث أنَّه مطابق لذاته ، بذلك يحدثنا مبدأ الهويّة عن كينونة الوجود)) [12]. ولا تنشأ الهويّة دفعة واحدة لدى الفرد ، بل تتبع مطبات الحياة وصدماتها ، وهي قائمة في الحركات التاريخيّة والثقافيّة للفرد [13]، لتنتقل فيما بعد من تجربة الأفراد إلى الوجود كله ، فهي ليست ظاهرة نفسيّة فرديّة ، بل ظاهرة كونيّة [14]، اي ان هويّة الشخص هي التي تعني أنه لا يُشبه شخصا آخر [15]. ثم إنَّ ((عملية تشكّل الهويّة لا يمكن تصورها خارج

فعل التصادم والمجابهة سواء داخل الجماعة الواحدة أو الجماعات المختلفة ، بل حتى داخل الأنا الواحدة))[16]، فالفرد في أحيان كثيرة يتصارع مع ذاته ليشكل هويّته الجديدة .

وفي الحقيقة أنَّ الهويّة ((مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما ، وينطوي الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة ، كالشعور بالوحدة ، والتكامل، والانتماء ، والقيمة ، والاستقلال ، والشعور بالثقة المبنى على أساس من أرادة الوجود))[17]، من هنا كان لكل شخص هويّته التي تميزه عن غيره وتعبر عنه ، وعملية البحث في مكونات الهويّة تكشف لنا أنَّ هذه المكونات ليست أبدية بل هي عرضة للتجدد والتطور ، وإن كان بعضاً منها يتسم بالثبات ، خاصة التي تتعلق بالعقيدة كالدين ، وكذلك الأمر في اللغة ، وإن كان فحتى هذه الأخيرة تكون عرضة للتغيير البطيء الذي يكون على مستوى الفهم والتأويل ، وعلى الرغم من ذلك فأنَّها تظل أقل عرضه لفعل التغيير لارتباطها بالجانب العقائديّ ، أمَّا باقي المكونات فأنَّها تكون أكثر عرضة للتغيير كونها خارج الدائرة العقائديّة كالعادات والتقاليد وغيرها[18].

وقد وعى الشاعر الصوفي هذه القضية فانصرف إلى إثبات هويّته الصوفيّة وتجسيدها موظفاً اللغة وسيلة من وسائل عدة ؛ فجاءت لغة المتصوفة لغة عالية ، وعلى قدر كبير من الرمزيّة والإيحاء ، نجح الشعراء الصوفيون في توظيفها من أجل إثبات هويّة خاصّة بهم تميزهم عن غيرهم وهم يعانون أزمة نفسيّة وشعوريّة ، بل حتى وجوديّة في مجتمع يرون أنَّه لا يتوافق مع توجهاتهم وآرائهم .

لقد كان المتصوف هو الآخر المنبوذ في المجتمع – على حد تعبير ادونيس – وقد اعتمد الصوفيون اللغة الصوفيّة وسيلة لتحديد هويّتهم الجديدة المغايرة للآخر السائد ، وهذه اللغة هي تحديداً لغة شعريّة وانّ شعريتها تتمثل في ان كل شيء فيها يبدو رمزاً ، كل شيء فيها هو ذاته وشيء آخر . الحبيبة مثلاً ، هي نفسها ، وهي الوردة أو الخمرة أو الماء ، انها صور الكون وتجلياته . فالأشياء في الرؤيا الصوفيّة متماهية متباينة ، مؤتلفة مختلفة ، وبهذه اللغة خلقت التجربة الصوفيّة عالماً داخل العالم ، وفي هذا العالم تتعانق الأزمنة في حاضر حي مع الإشارة ، فالإشارة لا العبارة هي المدخل الرئيس لمن يحمل الهويّة الصوفيّة .[19]

وإلى جانب دور الشعر في خلق الهويّة نجد الثقافة بدورها تحقق الهويّة هي الأخرى بوساطة اللغة أيضاً التي هي في الواقع الرحم الذي تتشكل فيه وتتمظهر ، وهكذا فأنَّ (اللغة هي الهويّة) لا كواقع بل كإمكانيّة وجود ، أي ماهيّة في مستوى الممكن[20].

وقد عمد الشعراء الصوفيون إلى الإفادة من ثقافتهم الصوفيّة وانطلاقهم في فضاء التصوف الرحب إلى الإعلان عن هويّةٍ صوفيّةٍ خاصة بهم تركت آثارها وبصماتها الواضحة ، وتتشكل الهويّة في الشعر الصوفيّ **فرديّة وجماعيّة** ، فهي هويّة جماعيّة بلحاظ انّ المتصوفة بوجه عام اجمعوا على ترك الدّنيا والعزوف عن ملذاتها ، فسلكوا طريق الفناء والتحقوا بقافلة الحبّ الالهي في سبيل نيل الوصال ، وهي هويّة غابَ فيها مكوّن العِرق والبلد ، وتلاشت فيها الأبعاد الجغرافيّة ، ليحلّ محلّ ذلك هويّة لا تشوبها المطامع الدنيويّة ، قوامها (حبّ المولى ونيل وصاله) .

أمّا الهويّة الفرديّة ، فقد جاءت في بعض وجوهها مكررة عند غير واحد من شعراء التصوف ،فهويّة الفرد تحددها أفكاره ومعتقداته وسلوكيّاته الخاصة به، وما تصبو اليه نفسه من طموحات وأهداف، وقد تشابه المتصوفة في كثير من ذلك، ولعله يمكننا القول ان الهويّة الفرديّة هي هويّة جماعيّة يُعاد انتاجها من قبل الصوفيّة .

تردد صوت الهويّة الفرديّة كثيراً ، مرتبطاً أشد الارتباط بالحديث عن الأنا وكشف مكنوناتها ،وما يعانيه العاشق الصوفيّ من لواعج الهوى ومرارة الفراق ، والشاعر الصوفيّ أثناء ذلك يلزم نفسه بمجاهدات خاصة وطقوس يمارسها ،كلا منهم حسب طاقته الجسديّة والنفسيّة، لتبرز أناه الفرديّة ذائبة في الذات الالهية ومندمجة _كما يرى_ في ذات الله فلا يحسّ وجوداً لذاته إلا بها، ولذا فإننا حين نطالع أشعار المتصوفة نجد أنّ أكثر حديثهم ورد بصيغة الفرد العاشق المقصّر في ساحة مولاه ،الفاني في هواه ، ومن أبرزهم الحلّاج فهويّته المُجسّدة لمعتقداته واضحة أشد الوضوح ، وهو يعلن في أشعاره عن أنا امتزجت مع أنا المعشوق حتى أصبحتا شيئاً واحداً ، يقول [21]:

مُزجت روحكَ في روحي كما تُمزج الخمرة في الماءِ الزلالِ
فإذا مسّكَ شيءٌ مسـّـــي فإذا أنتَ أنـا في كلّ حـــالِ

وذهب الحلّاج إلى أبعد من ذلك إذ جعل هويّة المولى معقولة في الأنية وبفناء هذه الأنا التي يعبر عنها بـ(لائيتي) يتحقق ما ترنو اليه نفسه من رفع العوائق التي تقف عائقا بينه وبين محبوبه [22]:

أأنتَ أم أنا هذا في الهين حاشاكَ حاشاكَ من إثباتِ اثنينِ
هويّةٌ لكَ في لائيتي أبدا كلّي عن الكلِّ تلبيس بوجهيـــنِ
بيني وبينكَ إنّي ينازعني فارفعْ بلطفـــكَ إنّي من البـــينِ

وتتأكد هويّة ابن الفارض بتجربة صوفيّة يستحضر فيها الحديث عن نفسه وما يمر به من معاناة أبرحت قلبه المتعب[23]:

وأفرطَ بـــي ضرٌّ ،تلاشـــتْ لِمسّهِ أحـاديثُ نفسٍ ، بالمدامـــعِ نُمّـــتِ

فلو همَّ مكروهُ الرّدى بي لَما درى مكانـي ، ومن إخفاءِ حُبّكِ خُفيـــتـي
وما بينَ شوقٍ واشتياقٍ فَنيتُ فـي تَولّ بحظرٍ ، أو تجـــلّ بحضـــرةِ
فلو، لفنـــائي من فنائـــكِ رُدّ لـي فؤادي ، لم يـرغبْ الـى دارِ غُـربـةِ
وعنوانُ شأنـي ما أبـثـــكِ بعضهُ؛ وما تحتـهُ ، إظهارهُ فوقَ قدرتـــــي

وها هي هوية الشِبليّ يُؤطرها بإطار المحبّة الالهيّة ، وترك الانشغال عن ذكر معشوقه المقدّس ، فهو في شوقٍ دائم له ، لتكون هويّة المتصوف دائماً مزدانة بختم الحبّ الأبديّ [24] :

ليسَ تخلو جوارحِي منكَ وقتاً هـــي مشغولـةٌ بحملِ هواكـــا
ليسَ يجري على لساني شيءٌ – عَلِمَ الله– ذا سوى ذِكـــراكـا
وتمثّلتَ حيثُ كُنتَ بعيـــني فهي –إنْ غِبتَ أو حضرتَ– تراكا

ونستمع الى البسطاميّ – كما الحلّاج – معلناً هو الآخر عن هويّته المتمثلة في فناء الذات الكلي ، واندماجها مع ذات المحبوب مخاطباً إيّاه (أنت أنا) ، حتى غدا في عُرفه الأثنان واحد [25] :

أشارَ ســـرّي إليـــكَ حـتّـى فنـيتَ عنـّي و دُمّـتَ أنـتَ
محوتُ اسمـي و رسم جسمـي سَـــألتَ عنّـي فقلتُ : أنـــتَ
فأنتَ تسلو خيـــال عـــيـني فحيثُـمـــا دُرتُ كنـتُ أنـــتَ

أمّا أبو مدين شعيب الغوث فقد أعلن عن هويّته واصفاً نفسه مجنون الهوى ، المتغرب من أجل محبوبه [26]:

عليهِ أنكرني مَن كانَ يعرفُـــني حتّى بَقيتُ بِلا أهلٍ ولا وطنِ
قَالوا جُننتَ بِمن تهوى فَقلتُ لهُم ما لذّةُ العيشِ إلا للمـــجانـــينِ

مؤكداً ذلك في موضع آخر من الديوان قائلاً [27]:

تسميتُ بالمجنون من ألم الهوى وصارت بي الأمثال بالحيّ تضربُ

فلا وجود لهويّته ولا كيان لذاته وللعوالم أجمع، من دون المعشوق المتعالي [28]:

واعلمْ بأنّـــكَ والعوالم كُلّهـــا لـــولاهُ في محوٍ وفي اضمحلالِ

منْ لا وجودَ لِذاتهِ من ذاتهِ فوجـــودهُ لـــولاهُ عـــينُ مُـــحـــالِ

الاغتراب في الشعر الصوفيّ :

تتضح إشكاليّة الهويّة عند الشاعر الصوفيّ في شعوره بالاغتراب ، هذا الشعور الذي كان ملازماً له ، وقد نجم عن اعتزال النّاس، والانقطاع إلى المولى لعدة أسباب مثل تراجع الوضع الدينيّ ، والظلم الاجتماعيّ ، والتفرّد الفكريّ للمتصوفة، وغير ذلك ، كما تتضح هذه الإشكاليّة فيما يرافق ظاهرة الاغتراب الصوفيّ من شعور بالوحشة والحزن ، والبكاء وذرف الدموع ، وطلب الأُنس والوصل في حضرة المحبوب .

إنّ **الاغتراب** قديم قدم الإنسان ، وظاهرة الاغتراب ظاهرة عامّة ، فهي لا تتعلق بفئة من النّاس دون أخرى ، بل هي ظاهرة تعرفها كل الشعوب والمجتمعات ، كما أنَّها توجد في كثير من فروع المعرفة ، فهي توجد في الأساطير وفي الآداب ، وتوجد في العقائد والأديان[29].

والاغتراب بوصفه ظاهرة إنسانيّة تتشكل حيثما يوجد أفراد يشعرون بتفردهم وهويتهم ، وأنَّ قيم المجتمع ومعاييره لا تتوافق مع قيمهم ، أو هي ليست ذات معنى ممَّا يشعرهم بالعزلة والانفصال؛ ليتولد على إثر ذلك الرفض والتمرد ، والبحث عن بدائل لهذه القيم السائدة[30]، إذ يفضي التفرد بالأفكار، وعدم التوافق مع الآخرين في هذا الجانب إلى ولادة هذه الظاهرة وهذا ما حدث مع الشعر الصوفيّ ، حيث كان بداية التصوف نتيجة كتطور حياة الزهد وميل فئة من المسلمين نحو الانقطاع إلى الله بعيداً عن حياة البذخ والترف السائدة ، فلما تفاقمت النزعة المادية ورأي الزُّهاد بأنَّهم أصبحوا غرباء في واقعهم ، بدأوا ينحون بعيداً عن المجتمع ،ويكوّنون لهم طائفة منعزلة همّها الخلاص من الآثام[31] .

جاء التصوف ليرسم طريقاً لسالكيه ، اعتمد العزلة ومجاهدة النفس ، ورفض في إحدى متبنياته وضع المجتمع وحال النّاس ممن يسمون أنفسهم مسلمين لكنهم بعيدين عن الإسلام في سلوكياتهم ، كما انتقد التصوف السلطة وحكامّها اللاهين بالملذات في حين يعاني الآخرون الجوع والفقر، فعمدت إلى إسكات الصوت الصوفيّ الرافض فقتلت منهم كثيرا ، وسجنت آخرين وعذبّتهم في مطاميرها بحجة الزندقة والخروج عن الدّين وغيرها من التّهم التي الصقتها بهم كي تعطي لنفسها مشروعية قمعهم ؛ لأنَّها أحسّت بخطر وجود هذه الطائفة لِما دعت إليه رمزاً وتصريحاً من تأليب ورفض لسياستها ؛ من هنا قتلت الحلّاج العاشق

من دون رحمة أمام الملأ في افظع قتلة ، كما قضت على السهروردي العارف في ظروف غامضة ، وغير أولاء ممَّن ذكرتهم كتب التاريخ، وهي تكيل التّهم إليهم في كل مرة في سبيل القضاء عليهم كي تزرع الخوف وتقتل الجرأة في نفس كلّ من يحاول الوقوف بوجهها ، فما زاد ذلك المتصوفة إلَّا تعزيزا لهويتهم وثباتاً على مبدئهم .

وقد صرح التوحيدي بحقيقة اغتراب المتصوفة ومحاربة الآخرين لهم حين قال : ((اللهم إنّا أصبحنا غرباء بين خلقك ، فآنسنا في فنائك .اللهم وأمسينا مهجورين عندهم ، فصِلنا بحبائك . اللهم إنّهم عادونا من أجلك لأنا ذكرناك لهم فنفروا ، ودعوناهم اليك فاستكبروا ، وأوعدناهم بعذابك فتحيّروا ، ووعدناهم بثوابك فتجبّروا ، وتعرّفنا بك إليهم فتنكّروا ، وصُنّاك عنهم فتنمّروا... اللهم قد حاربناهم فيك، وسالمناهم لك، وحَكمنا لهم عنهم لوجهك، وصَبرنا على أذاهم من أجلك ؛ فخذ لنا بحقنا منهم))[32] . ويتضح من كلام أبي حيان الرفض الصريح لواقع الأمة وثورة المتصوفة على كل من ابتعد عن طريق الله مما كان مدعاة لهجرهم النّاس وهجر النّاس لهم ونبذهم .

ويمكن تمثيل الخطاب الضديّ للصوفي الباحث عن هويّته وهو يعلن عن رفضه وتمرده ، وصولاً إلى الثورة في الترسيمة الاتية :

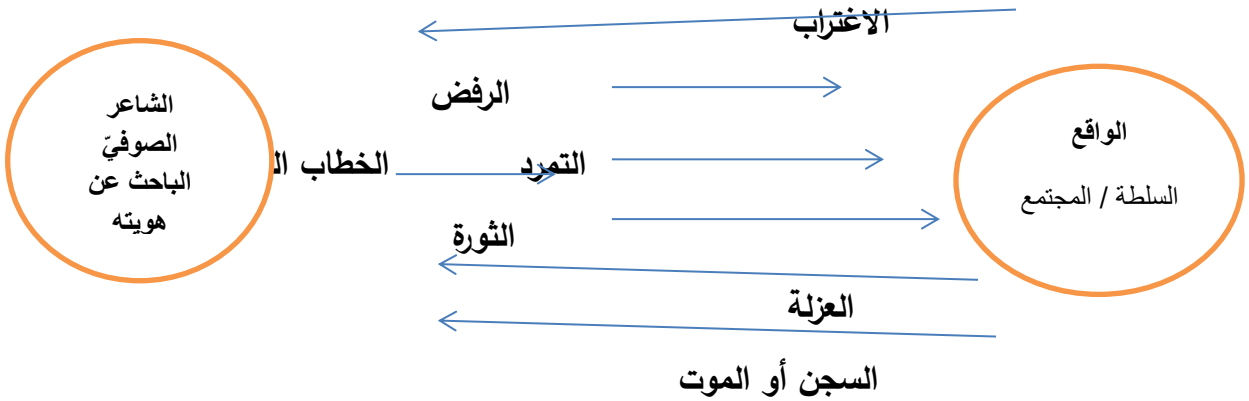

ففي الوقت الذي يُصدّر الشاعر الصوفيّ رفضه فهو يعاني الاغتراب ، ومتى ما تمرد كان نصيبه العزلة ، وحين يثور فانه يُواجه بالسجن وإنهاء الحياة . لذا فان الهويّة ليست معطًى جاهز ، بل هي ثمرة

تضحيات وصراع مع الآخر ، انها حقّاً إشكالية انسانيّة في ظل الخطاب الضديّ للمتصوفة إزاء الواقع / الآخر ، والمتمحور في الرفض والتمرد وصولاً الى الثورة .

هكذا كان التصوف حركة إيقاظ للقدرة التأويليّة للتفكير الإنسانيّ في مواجهة قسوة الحياة ، ومجاهيل الكون وخفايا الإنسان وحقيقة الخالق عز وجلّ وسبيل الوصول إليه ، فأنتج فكراً أصيلاً واجترح طريقاً جديدة للمعرفة والإدراك تتجاوز حدود العقل ومقاييسه المنطقيّة ، كما تتجاوز الحس ومعاييره الماديّة [33].

أنواع الاغتراب الصوفيّ :

يمثل التصوف الملاذ الآمن والحجر الدافئ للغرباء في زمن تراجعت فيه كثير من القيم تراجعاً كبيراً وأصاب الانحلال الخُلقيّ أكثر من فئة وعاثت السلطة بدورها فساداً في البلاد ، و راح وعاظ السلاطين يبررون لهم الخطأ من الأفعال ، وأصبح في مقابل مسجدٍ يُتلى فيه القرآن هناك عشرات الحانات ، وفي مقابل غانية تتنعم بترف سيدها ،كان هناك فقراء لا حصر لهم يعانون الحرمان، لم يجد الصوفيّ ازاء ذلك بدّا من الثورة وإعلان الرفض (الصريح تارة والمقنّع تارة أخرى) ، حينها شكّل الصوفيّة لهم منهجاً متمرداً ، وعملوا على تأسيس هويّتهم وتصديرها للآخرين ، ليكون اول أمر يواجههم في هذا الطريق هو الاغتراب، إذ تعامل معه المتصوفة تعاملاً ايجابياً من أجل تحقيق الهدف الأسمى ، يقول الشيخ عبد الله الأنصاريّ الهرويّ [34]:

غُربتي فيك غربةُ الغربةِ لا فـــــرحَ دونـكم ولا كُـربةُ
أنتَ مقامي وأنتَ غُربتي قد طـــابَ فيكَ المقامُ والغربةُ

وإذا ما تأملنا أشعار الصوفيّة نلحظ أنَّ ظاهرة الاغتراب قد وردت في أنواع عدّة وتشكلت في مجموعة من الصور، كل صورة تحكي عن حكاية ، وتبرز نوعاً منه ، فكان هناك الاغتراب المكانيّ وهو (غربة الأوطان) ، والاغتراب الروحيّ إلى جانب الاغتراب الدينيّ، والفكريّ ، والاجتماعيّ ، وقد تتداخل هذه الصور معاً في تجربة شعرية واحدة وقد تتفرد ، وفي مواضع يكون احداها مدعاة للأخرى كأن يكون الاغتراب الاجتماعي ناجماً عن الاغتراب الدينيّ مثلاً.

نقف عند أول هذه الأنواع وهو **(غربة الأوطان)** ، هذه الأوطان التي تغّربوا عنها وتشوقوا في العودة إليها ، وهذا اللون من الاغتراب له طابعه الخاص عند الشعراء الصوفيين ، ففي كثير من الأحيان تكون هذه الأوطان هي رموز لعوالم روحية وليست أمكنة ماديّة ، يُطالعنا في ذلك قول الحلّاج [35] :

أَبكي عَلى شَجَني مِن فُرقَتي وَطَني **طَـوعاً وَيُسعِدُني بِالنَوحِ أَعدائي**

أَدنو فَيُبعِـدُني خَوفي فَيُقـــلِقُـنـي **شَوقٌ تَمَكَّنَ فـي مَكنونِ أَحشائي**

فَكَيـفَ أَصنَـعُ فـي حُبٍّ كُلِّـفتُ بِـهِ ؟ **مولايَ قَد مَلَّ مِن سُقمي أَطِبّائـي**

قـــالـوا تَـداوَ بِهِ فَقُـــلتُ لَهُـم : ***يا قَـومُ، هَل يَتَداوى الداءُ بِالـداء***

حُبّي لِمَـــولايَ أَضنانـي وَأَسقَـــمَني ***فَكَيفَ أَشكو إِلى مَولايَ مَـــوْلائي***

يظهر الاغتراب في أبيات الحلَّاج في أوضح صوره، وأبرز تجلياته الصوفيّة ، إذ وظَّف الشاعر (البكاء) للإفصاح عن اغترابه ، فهو مفارقٌ للوطن حيث يتجلى الحبيب الحقيقي ، وهو لم يصل بعد إلى درجات الكمال التي تؤهله للقبول لدى المولى الذي لم يصرح به بل أشار إلى ذلك رمزاً ، فكلما دنا أبعده خوف اللقاء ليعود الشوق المتمكن في أحشاءه دافعاً إياه لطلب القرب مرة أخرى، أنَّ عذاب الحب لا يبرح يفارقه، وجراحات الحلّاج العاشق كثيرة ودوائها هو الداء نفسه ، فكيف يتداوى به ؟! إذا أراد أن يشكو لمولاه حبه وجد ما يمنعه ويدفع به لترك الشكوى ، من هنا غمر الإحساس الصادق الجو الشعريّ للأبيات ليعيش الشاعر غربته وهو في حنينٍ ، وأنين، وشَوقٍ ، وفَرقٍ .

ويعلن الحارث المحاسبيّ عن ندمه على ترك بلاده ، مستعيناً بالبكاء لمواجهة ألم الاغتراب [36]:

أنا في الغربةِ أبـكي **ما بكتْ عينُ غريبِ**

لم أكنْ يوم خروجي **من بلادي بمصيبِ**

عجباً لي ولتركـــي **وطنـــاً فيهِ حبيبي**

ولابن الفارض حديث أيضاً عن مفارقة الأوطان قائلاً[37] :

وَلِي بَعْدَ أَوْطَانِي سُكُونٌ إلى الفَلا **وبالوَحشِ أُنْسي إِذْ مِنَ الأُنْسِ وَحْشَتِي**

تلازم حالة الاغتراب عادة البعد عن الأوطان ، وكلما زاد تعلق الإنسان بوطنه تعززت قيمة الهويّة لديه ، وابن الفارض يقدم مشهداً مؤثراً يُحرك العاطفة ويداعب الإحساس ، حين يبعد المرء عن وطنه ويسكن إلى الفلا ، متخذاً من الوحوش أُنساً له ، وأيّ أنُس هو ، انّه الوحشة بعينها ! فابن الفارض والمتصوفة

عموماً يعبّرون عن المولى سبحانه بأنَّه موطنهم ومأواهم ، ويعدّونه مآل نفوسهم ، وليس بعيداً أن يكون الشاعر أراد هنا بالبعد عن الوطن البعد الروحيّ لا البعد الماديّ ، فهو يتحدث عن مواطن عُلويّة غير تلك التي تتبادر إلى ذهن القارئ لأول وهلة ، ويذهب المتصوفة في (غربة الأوطان) أبعد من هذا فالمتصوف المشهور ابن عربي يرى غربة الإنسان جاءت منذ تلك اللحظة التي غادر فيها عالم الإشهاد بالربوبية في بدء الخلق لينزل إلى الأرض ، ويعيش غربته الحقيقيّة ، يقول : فأول غربة اغتربناها وجوداً حسياً عن وطننا غربتنا عن وطن القبضة عند الإشهاد بالربوبية لله علينا ، ثمّ عمّرنا بطون الأمهات ، فكانت الأرحام وطننا فاغتربنا عنها بالولادة ، فكانت الدنيا وطننا و أتخذنا فيها أوطاناً فاغترابنا عنها بحالة تسمى سفراً وسياحة إلى أن اغتربنا عنها بالكلية إلى موطن يسمى البرزخ فعمرناه مدة الموت فكان وطننا ... ويتخذ بعد ذلك أحد الموطنين : أما الجنة وأما النار ، فلا يخرج بعد ذلك ، ولا يغترب وهذه هي آخر الأوطان التي ينزلها الإنسان ليس بعدها وطن مع البقاء الأبدي[38].

وقد عبّر السهروردي في أبيات له عارض فيها عينيّة ابن سينا الشهيرة عن غربة النفس الانسانيّة المسجونة في البدن والحياة الدنيويّة وقلقها ، فهي تعاني شجون المسجون وتترقب لحظة الرجوع إلى الأصل/الموطن الذي انطلقت منه ، ذلك الرجوع الذي لا يكون إلّا بالموت[39] ، يقول[40] :

خَلعـــتْ هياكلها بجرعـــاء الحمى[41] وَصَبتْ لمعنـــاها القديـــم تشـــوقَا
محجوبةٌ سفـــــرتْ وأسفر صُبحها وتجرّدتْ عـــمّا أجـــــدّ و أخلـــقَـــا
وتلفتتْ نحو الديـــارِ فشاهـــدتْ رَبْعاً عفـــتْ أطـــلاله فتمـــزّقـــــا
وغَدتْ تُردِدُ في الفضـــاءِ حنينـــها فتـــروم مرتـــفعاً زَلُـــوقَ المُرتـــقـــى
فكأنّها أضوتْ إضـــاءة بـــــارقٍ ثمّ انـــطـــــوى فكأنّـــه مـــا أبـــرقـــا
وقَـــفتْ تُسائـــلـــــهُ فردَّ جوابـــــها رَجْـــعُ الصدى : أن لا سبيل الى اللقـــا
فَبكتْ بعينِ الحالِ مَعْهدَ عهْـدِهـــا أسفـــاً عـــلى شمـــلٍ مضـــى وتفرقـــا

فالروح الإنسانيّة الولهى كما يرى السهروردي قد تركت الأبدان ، وغادرت الجسد الماديّ ، وودّعت الحُجب التي حالت بينها وبين الراحة والأنس النفسيّ ، حيث ابصرت ديارها الحقيقية التي أتت منها ، فراحت محلقة نحوه متحررة من ماديّات الواقع .

وحيثما كانت غربة الأوطان كان إلى جانبها الحنين والاشتياق إلى الديار ، إذ لا تبرح النفس تحنُّ إلى موطنها حيث الفضاء الذي أحست فيه بالراحة والأمان، ليحقق الإنسان ذاته من خلال تفاعله مع المكان ، فوجود الإنسان كامن في الاندماج معه، وها هو ابن الفارض يحنُّ إلى (مكة) أنيسة روحه التي فارقها حيث كان يستشعر الفيوضات الربانية، والرحمة الإلهية ، يقول[42] :

يا سميري رَوّحْ بمَكّةَ رُوحي ***شـادِياً إنْ رَغِبْتَ في إسعادي***

فذُراها سِرْبي وطيبي ثَراهـا **وسبيلُ المَسِيـلِ وِرْدِي وزادي**

كان فيها أُنسي ومِعْراجُ قُدْسِي ***ومُقـامي المَقامُ والفتـحُ بادِ***

نقلَتني عنها الحُظُوظُ فجُـذّت **وارِدَاتي ولمْ تـــدُمْ أوْرَادي**

آهِ لـو يَسْمَحُ الزَّمانُ بعَوْدٍ **فعسَى أن تعودَ لي أعْيـادي[43]**

انّ مكة ليست كغيرها من مدن الأرض ، إذ لها مكانة خاصة لاسيما في نفوس المتصوفة ،فهي مصدر الفيض ، ومنبع العشق ، فيها يتجلى الحضور الالهي بكل معانيه ، ينشد ابن الفارض في موضع آخر من ديوانه مشتاقاً إلى هذه البقعة المباركة ، حين كان في مصر مفارقاً لها [44] :

في قرى مصر جسمه و الأصيحا ***بـ ُ شامـــا ، والقلب في أجيادِ***

إن تعُدْ وقفةً، فـــوّيق الصـُخيـــرا ***تِ رواحًا ،سَعِدتُ بَعدّ بِعـــادي***

يا رَعـــى اللّهُ يَومَنا بالمُصَـــلّى ***حيثُ نُدعى إلى سبيلِ الرَّشـــادِ***

يمتزج الشوق والحنين بالاغتراب امتزاجاً شديداً ، حتى لكأن الشاعر تكادُ روحهُ تفارقه شوقاً إلى مكة ومواضعها التي ذكرها في أبياته (أجياد ، المصلّى ، مكان الصخيرات التي كان رسول الله (ص) يقف عندها في عرفات) ، أنَّه يتحرق شوقاً إليها معانياً الشقاء بسبب البعد عنها ، بعد أن سافر وطلب مكاناً غيرها ، لكن لا مفر من ذلك ؛ إذ كان دأب كثير من المتصوفة السفر، والرحلة، ومفارقة الموطن ، والاغتراب عن الأهل طلباً للحقّ سبحانه ، وتحصيلاً للفتوحات الربانيّة ، فحيث وجد المتصوف قلبهُ مع الله أقام [45].

وفي هذا المعنى يقول ابن عربي[46] :

تَغرّبْ عن الأوطانِ والحالِ والحقّ **عساكَ تحوزُ الأمرَ في مقعدِ الصدقِ**

وكُـنْ نافـذاً في كلّ أمرٍ تـرومهُ **ولا تَذْهَشَنْ إن جـاءكَ الحقُّ بالحـقّ**

وفي صورة أخرى يظهر فيها اغتراب المتصوفة اغتراباً روحيّاً وهم في أوطانهم وسط الأهل والجيرة ، ومن ذلك قول عمر بن عيسى[47] :

أُعيـذكَ انـي بين أهلــي وجيرتــي ***وحيـــداً عـــادم ودّ مشــفقِ***

أُقلّب أطرافي لا أجد لـي مؤنســا **لعمرك فيــهم غير طرس منمّقِ**

يُحدثني عن حسنِ أحوالي من مضى ***ويخبرني عن قبح أحوالِ من بقي***

فالشاعر غريب في وطنه غير قادر على الاندماج النفسيّ والفكريّ مع من حوله ، وشعوره بالوحدة والاغتراب يبدو واضحاً فعلى الرغم من كثرة الأهل والجيرة إلّا أنَّه لا يجد له مؤنساً سوى ثلة عبّر عنها عمر بن عيسى بالطرس المنمّق –وهو ((الصحيفة التي مُحيت ثم كُتبت)) [48] –، وهو إشارة إلى مضي الأخيار وبقاء من قُبحت أحوالهم، وساءت سريرتهم، وهذا ما كان مدعاة للاغتراب عند الشاعر ، وهو ما عبر عنه التوحيديّ بقوله: ((أغرب الغرباء من صارَ غريباً في وطنه)) [49] .

وهذا اللون من الاغتراب قد أفصح عنه ابن الفارض أيضاً في قوله[50] :

بَيْنَ أهلِيهِ غَريباً نازحـــــاً ***وعلى الأوطانِ لم يعطِفْه لي***[51]

جامِحـــاً إنْ سِيمَ صَبراً عنكُمُ **وعليــكُمْ جانِحــاً لم يتّأي**

نَشَرَ الكاشِـــــحُ ما *كانَ* لهُ ***طاوِيَ الكَشحِ قُبَيلَ النأيِ طي***

لعلّ من أشد أنواع الاغتراب أذًى هو الاغتراب الروحي وسط الأهل ،وفي الديار ، إذ يجد الشاعر نفسه غريباً غربة الروح عمَّا يؤامها ، فهو يعيش بينهم جسداً ،أمّا روحه فتعاني الوحشة ،وقد جاءت مفردات ابن الفارض مُعبرة عن حالة الحزن التي يعيشها ومُناسبة للشعور بالغربة، وعدم الارتياح لا سيما (غريباً ، ونازحاً ، والنأي) .

وها هو ابن الخيميّ يشارك شعراء التصوف في البوح بحال الغربة التي تعتريه وسط الديار المصريّة التي قضى فيها جلّ عمره ، مقدّماً صورة قاسية للغربة الروحيّة ، آثر فيها مجاورة أُسد الغابة ووحوشها على مجاورة النّاس من حوله[52] :

أقمتُ بمصر جُلّ عمّري فلم أجدْ **بها أحـــداً يُجدي ولا عالِـماً يَهــدي**

أُزاحِمُ منـهم ألف ألفٍ بِمنكَـــبي **وأُمسي كـأنّي بِـتُّ في قَفْرةٍ وحـــدي**

فَدعْهُم وجـــاوِرْ أُســدِ بغـــابــةٍ **فأسلـــمُ مـنـهم جيـرةً جيـــرةُ الأُسْدِ**

ليكون الهروب الى الله المتعالي هو الحلّ الأمثل كما يرى تقيّ الدين ابن دقيق العيد[53] :

فاهـربْ من النّاسِ إلى ربّهم لا خيـرَ فـــي الخُلطةِ بالنّاسِ

ويقدم عفيف الدّين التلمسانيّ مشهداً آخراً لحال الاغتراب الروحيّ في الأوطان ، مُعْرباً عن السبب وراء اغترابه وهو رحيل الأحبة ، ليصبح على أثره غريب الحيّ ، ونزيل الديار الحزين ، يقول[54] :

غَرِيـــبُ الحَيِّ قَلْبي في حِمَاكُمْ نَزِيلٌ في دِيَـــــارِكُمُ غَرِيبُ

رَحَلتُمْ عَنْ حِمىَ الوَادِي سُحَيـرْاً وَسِرْتُمْ وَهْوَ خَلْفَكُمُ جَنِـيـبُ[55]

وفي صورة أخرى للاغتراب في الشعر الصوفي ، نلحظ الاغتراب الدينيّ حاضراً ، وفي هذا يُتحفنا عبد الغفار الأقصريّ بقوله[56] :

لتبكِ معي على الدينِ البواكي فقد اضحـتْ مواطنهُ قفــارُ

وقد هُدّت قـواعـده اعتــداء وزالَ بـذاكمُ عنه الوقـــارُ

وأصبح لا تقــام لـه حــدود وأمسى لا تبيــن له شعـارُ

وعــاد كما بـدا فيــنا غريباً هنالك ما له في الخلقِ جـارُ

يرسم الشاعر صورة اغترابه عن طريق رفضه لحال المجتمع الذي ترك تعاليم الدّين ، حتى أصبحت ديار المسلمين قفاراً من مبادئ الإسلام ، وقد هُدّت قواعده ، فلم تعد له حدود تتبع ، ولا معالم يُهتدى بها ، فالدّين في ضياع كما يرى الشاعر ممَّا دعاه إلى نشدان العزلة، واستحضار البكاء، واستدعاء الحزن لذلك .

وقد امتزج في نص (الأقصريّ) الاغتراب الدّينيّ بالاغتراب الاجتماعيّ والروحيّ ، فصار الشاعر يعاني ألم الاغتراب على أكثر من صعيد .

ونجد صورة الاغتراب الاجتماعيّ حاضرة هي الأخرى في شعر الصوفيين أمثال عمر بن عيسى بن نصر قائلاً[57] :

ما أنسَ لا أنسى عيشاً قد لهوتُ بهِ مع فتيــةٍ كوجـوه الأُنجم الزُّهر

كنا قديماً على حالٍ نُسَّـــــرُ بهِ من التواصــلِ أخواناً على سُررِ

ففرق الدهرُ شملاً كـان يجمعنــا وفاجـأتنا على أمنٍ يدُ النيـــرِ

إنَّ من دواعي الاغتراب الاجتماعيّ مفارقة الأصدقاء ، ورفقاء الشباب إذ الأُنس، والضحك، وقضاء الوقت معاً ، والشاعر هنا ينعى أياماً وليالٍ جميلة قضاها برفقة أصدقائه، فكانت مفارقتهم سبباً في اغترابه

، وطول حزنه ، وقصيدة الشاعر طويلةٌ ، وفيها يُعّرج على حصول حالة الاغتراب بفعل فقدان أهل العلم ممَّن كانت مجالسهم عامرة بالذكر فهم جِيرته، وأهل ودّه، وموضع أُنسه[58] :

يا أهلَ ودّي ما في العيشِ بعدكمُ حصولُ حالات لـذاتٍ لمنتـظـرِ
يا أهل ودّي لقد عُوِّضـتُ بعدكـمُ عن لذّة النوم فيكـم مؤلم السّهـرِ
لهفي على جيرةٍ أودى الزمانُ بهم فليس عن فعـلهِ فيـهم بمعتــذرِ
إلى أن يقول :
قد هان كل عزيزٍ بعد فقــدهُــم فليسَ اشفقُ من دمعي على بصري
مضوا وخُلّفت في قــومٍ طَوْيتُهم على ملالــهم في الوردِ والصّـدرِ

وفي الأبيات المتقدمة يتضح كيف أنَّ نفس الشاعر متلهفة ، غريبة ، فقدت أحبتها ، وأهل ودادها ، لا يقرّ قرارها إلَّا بلقائهم ، والقلب يأبى أن يهدأ إلَّا بذاكرهم ، لكن غدر الزمان أفقدهم ، فعاش الشاعر غريباً باكياً متجرعاً مرارة بعدهم لا سيما وأنَّه قد بقي بين قوم سريرتهم غير ما يبتغي . وفيما تقدم يمكن القول إنَّ الاغتراب الروحيّ قد امتزج بالاغتراب الاجتماعيّ لسبب اشتركا فيه ، وهو فقد الأحبة .

وبعد أن حكى لنا الشاعر عن حزنه لفراق أهل مودته ، وشكا من زمانه وبثَّ همومه ، ها هو في مقطوعته الرائيّة يحدثنا عن تبدل الأخلاق واغتراب الفقراء في مجتمعاتهم[59]:

أُعيذك أنَّ القوم من كان فيــهمُ فقيراً رمــوهُ بالقطيعة والهــجـرِ
وعدّوهُ ذا نقصٍ وإن كــان كامــلاً وغودر فيما بينهم خامــلَ الذكرِ
وقد أصبح المرموقُ فيهم بسؤودٍ ورفعة قدرٍ في الوجودِ هو الثري
وإن كــان ذا جهلٍ وجُبنٍ وخسةٍ وتلك وبيت الله قاصمة الظــهرِ

إنَّ من تبدل الأخلاق وضيم الزمان نبذُ الفقراء ورفضهم من قبل مجتمعاتهم ، ممَّا يكون سبباً لاغترابهم عن هذه المجتمعات التي رفعت من شأن الأغنياء وإن كانوا ذا جهلٍ وجبنٍ وحطّت من شأن الفقراء وإن كانوا أصحاب شرفٍ وعلمٍ ، وهذا ممَّا تأسى له النفس حين يسود الأنذال على الأشراف ، فلا غربة أشدّ من هذه الغربة ، وفي هذا يقول تقيّ الدين ابن دقيق العيد [60]:

أهلُ المناصبِ في الدّنيا ورفعتِها أهــلُ الفضائلِ مــرذولــونَ بينهمُ
قد أنــزلونا لإنّا غير جنسهُــمُ منازلَ الوحشِ في الإهمالِ عندهمُ

فــما لهم فــي توقّي ضرّنا نظرُ ومــا لهــم فــي ترقّي قَــدرنا هِممُ

كما أنشد في موضع آخر ناعياً مفارقة الأحبة بأسى وحنين [61]:

أحبـــةُ قلـــبي والذين بــذكـرهِم وترداده في كلّ وقــتٍ تعلّقـي

لئن غابَ عن عيني بديعُ جمالكم وجارٍ على الأبدانِ حكمُ التفـرّقِ

فما ضــرنا بعــدُ المسافةِ بيننا سرائــرُنــا تسري اليــكـم فنلتقي

وفيما تقدم من عرض لصور الاغتراب في الشعر الصوفيّ ظهر الشعراء غرباء في أوطانهم و غرباء عن مجتمعاتهم ، فيها عاشوا الغربة بين أهليهم وجيرتهم ، فكانت العزلة ديدنهم ، والوحدة دأبهم ، لا يبتغون سوى عشق المولى ونيل وصاله ، فكان بحق خير مؤنس لهم، بدّد بأنوار قدسه ظلام عزلتهم ، وصرعَ قسوة وحدتهم ، فأصبحوا يجدون في العزلة والاغتراب أُنسهم وراحتهم ، حتى أنَّهم اتخذوا ذلك منهجاً لهم ، فمن أراد وصل المولى عليه بهجر الورى فكانوا ((غرباء في آرائهم ، فقد سافروا إلى مراتب أخرى هي لهم كالأوطان))[62].

وحيثما كان الاغتراب الصوفيّ حضر ذكر الأنيس وتمني وصاله، فمن عادة الغريب البحث عن مؤنس له في رحلة اغترابه ، فلا زال إلى اليوم صوت رابعة العدويّة ، وأنينها في خلوتها حاضراً، وهي تناجي مؤنسها قائلة[63]:

يا سُروري ومُنْيَتِي وعِمــادي وأَنِيســـي وعُـــدَّتي ومُرَادي

أنتَ روحُ الفُؤادِ أنتَ رجـائي أنتَ لي مُؤنسي وشوقُكَ زادي

أنتَ لولاك يا حيــاتي وأُنسي ما تشــتّتُّ في فسيحِ البــلادِ

رددت رابعة كلمة (أُنس) و(مؤنس) في كل بيت من أبياتها ، وهو دليل شدة تعلق قلبها بالحبيب، وطلب أُنسه ، إذ النفس تطلب المؤنس متى ما أحست بغربةٍ ، ووحشة تلك الوحشة التي يتولد على أثرها شعور بالوحدة فيأتي الأنيس حينها ليزيح ظلام ذلك مخلّصاً إيّاها من مرارة الاغتراب ، ولعل هذا يفسر لنا تردد ألفاظ الأنس عند الشاعرة المتصوفة ، فهي لا تريد غير (الله سبحانه) مؤنساً لروحها المتعبة ؛ لأنَّها تعيش حالة الاغتراب الروحيّ في مجتمع عكف على الملذات واللهو الدنيويّ _إلَّا القلة_ فاختارت لنفسها سبيل الانقطاع إلى الله ، والعزوف عن الدنيا ، وسارت سيراً حثيثاً في رحلة العشق الإلهي .

والأنُس بالضم : ((انبساط المحبّ إلى المحبوب))[64]، فقلب رابعة لا ينبسط إلّا بحبّ الله، ونفسها لا تطيب إلَّا بنيل رضاه ، وهذا غايةُ مُناها[65] :

يا طبيبَ القلبِ يا كلّ المُنى ! جُدْ بوصلٍ منكَ يشفي مهجتي
يا سروري وحياتي دائمـــاً نشأتي منـــك وأيضاً نشـوتي
قد هجرتُ الخلق جمعاً أرتجي منـــكَ وصلاً أقصى مُنيـــتي

تؤكد رابعة في البيت الأخير هجرها الخلق وتركها إياهم ، فهي معرضة عنهم لا تبتغي غير وصل المولى مُنية لها مهما كلفها ذلك من مجاهدة ومكابدة ، وقد أولعت رابعة وبرعت في أشعار الحب الإلهي ، وكان هذا دأب شعراء المتصوفة، ولعلّ السبب في ذلك أنَّها تُحرك فيهم الرغبة إلى معانقة الجمال المطلق، فكان للشعر الصوفيّ فيوضاته في هذا الجانب حيث تتبين الهويّة الجوهريّة الحقيقيّة بين العبد الواصل ، والموصول إليه[66].

ومثلما ناجت رابعة العدوية مولاها ، ناجى ذو النون المصريّ هو الآخر مولاه في خلواته قائلاً[67] :

يَا مُؤنِسَ الأبْرَارِ في خَلَوَاتِهِمْ يَا خَيرَ مَنْ حَطّتْ بهِ النُّزّالُ
قد نال حبّك لا ينال تضجعا القلبُ يعلم أن ما يفنى محالُ

وهتف في موضع آخر مستشعراً الخوف من عدم رؤية المحبوب مردداً [68] :

أنستُ بهِ فلا أبغي سواهُ مخافةَ أن أَضلّ فلا أراهُ

ثم يؤكد على ما ذهب إليه المتصوفة من تركٍ للخلق ، إذ جرى في عُرْفهم منْ رام المولى هَجَر الورى [69]:

***هجرتُ الورى* في حب من *جادَ بالنعمِ* وعفتُ الكرى شوقاً إليه فـلم أنمِ**
وموّهت دهري بالجنونِ عـــن *الـــورى* لأكتمُ ما بي من هواهُ فما انكتـمِ

وليس غريباً أن تهجر رابعة أو ذو النون وغيرهما من شعراء المتصوفة الخلقَ ويعتزلوهم، ما دام المولى هو مصدر حبّهم وأُنسهم فما حاجتهم بعدُ إلى الخلق؟! فالوحشة عند غيرهم في مفارقة الناس ،أمَّا عندهم فهي سبب راحتهم ، إنَّهم أُناس أُنسهم في وحشتهم ، وراحتهم في غربتهم، ذلك أنَّ الصوفيّ عموماً يسعى

إلى إثبات هويّته التي انفرد بها عن غيره فهو غريبٌ غربة مادية (جسداً ومكاناً) لكنه أنيسٌ برفقهِ المولى ، إذ لا يستشعر في كثير من الأوقات وهو الغارق في حب الله والفاني في عشقه لا يستشعر مرارة الغربة إلَّا حين يصحو من سُكرِ العشق ويُدرك عالمه الواقعي ، وهنا نأنس بقول ابن الفارض[70] :

لم أدرِ ما غُرْبَةُ الأوطان وهو معي وخاطري أين كنّا غيــرُ مُنْزَعِجِ

وليبقى ذكره (جلّ شأنه) دائماً مؤنساً لنفوسهم التي أضناها العشق وأبرحها الهوى ، يقول أبو العبّاس بن عطاء الآدمي [71]: **ذكُرِكَ لي مؤنسٌ يعارضني يوعدني عنـّكَ منـّكَ بالظفرِ**

فالغربة الحقيقيّة عند المتصوفة تتحقق عندما يترك المرء حب مولاه ، ويسير في غير هُداه ، وهذا ما أكده الجُنيد البغداديّ بقوله [72] :

وإنَّ امرؤ لم يصفُ للهِ قلبهُ لفي وحشةٍ من كلِّ نظرهِ ناظرِ

إنَّ كل قلبٍ خلا من حبّه سبحانه لفي وحشةٍ دائمة وظلام لا نهاية له ، فالمرءُ سجين الماديات ما لم يُحرره نور المولى ، ويأخذ بيده إلى ساحة القُدس الإلهي حيث نيل الوصال الذي يتعطش اليه قلب الواله، يقول سمنون المحبّ متأوهاً [73] :

يا مُعطــشي بوصــالٍ أنتَ واهبهُ هلْ فيكَ راحة إن صحتُ: وآعطشى ؟!

إنّ راحة المتصوف العاشق لا تتم من دون اللقاء ، ولا تكتمل من غير الوصال ، وفي هذا أتحفنا أبو إسحاق ابراهيم الخوّاص وهو يناجي الى الصباح ويقول [74]:

بَرِحَ الخفاءُ وفي التلاقي راحةٌ هل يشتفي خلٌّ بغيرِ خليلـه ؟

هكذا هي أرواح المتصوفة تتمنى اللقاء ، وتهتزّ أُنساً وتطرب كلما ذُكر الحبيب، كما يهتز الطائر السجين ، ويرقص في الأقفاص شوقا للّقاء ، يقول أبو مدين شعيب الغوث في هذا المعنى [75] :

يُــحركنا ذِكرُ الأحـــــاديثِ عنـــكـــمُ ولولا هــواكـم في الحَشَــا مـــا تحـرّكنا
فقُــلْ للذي يَنهى عنِ الوجدِ أهـــــلـــهُ إذا لم تَذقْ معنى شَرابِ الهــوى دَعـــنـا
إذا اهتــزتْ الأرواحُ شوقاً إلى اللِــقـا ترقّصتِ الأشباحُ يا جــاهـــلَ المعـــنى
أما تنظرُ الطّيرَ المُقفّصَ يـــا فـــتى إذا ذُكـــرَ الأوطانَ حـــنّ إلى المغـــنَى
يُفــرّجُ بالتــغـــريــدِ مــا بفـــؤادهِ فتضـــطَربُ الأعضاءُ في الحِسّ والمعنى
ويرقصُ في الأقفاصِ شوقاً إلى اللــقا فتهـــتـــزّ أربابُ العقـــولِ إذا غَـــنى
كـذلِكَ أرواحُ المحبّين يـــا فَتـــى تُهـــززهُـــا الأشــواقُ للعالَـــمِ الأسنى

داعياً خالي الفؤاد ممن لم يذق طعم الهوى إلى ترك تعنيف العاشقين ومعاتبتهم [76]:

إذا لم تَذُق ما ذاقتِ الناسُ في الهوى فبـاسِ يا خـالـي الحَشَا لا تُـعنّفنَا

خاتمة البحث :

عن طريق ما تقدم فقد توصل البحث إلى النتائج الآتية :

1- ظهر التصوف ردة فعل على حالة الانغماس في الملذات الدنيويّة والابتعاد عن تعاليم الإسلام فنشأ التصوف غريباً في مجتمعه .

2- عاش الشعراء الصوفيون غرباء في أوطانهم وآرائهم ، وكانوا ينشدون موطناً عُلويّاً يسوده العشق الإلهي .

3- تجلّت إشكالية الهويّة عند الشاعر الصوفيّ في شعوره بالاغتراب الذي تشكّل في صور عدة ، منها الاغتراب المكانيّ أو ما عبّر عنه المتصوفة غربة الأوطان ، ومنها الاغتراب الروحيّ ، والاغتراب الدينيّ ، إلى جانب الاغتراب الاجتماعيّ الذي تأتى من عوامل عدة منها فقد الأحبة ، وفراق الأصدقاء ، وتبدل الأخلاق ، وحالة الفقر .

4- كثيراً ما تمتزج هذه الصور مع بعضها في نسيج واحد متكامل حتى أنّه ليصعب فصل إحداها عن الأخرى.

5- سعى المتصوفة جاهدين لإثبات هويتهم الصوفيّة فبرزت هويّةً فرديّةً وجماعيّةً ، ضحّوا من أجلها ، وهجروا الناس واعتزلوهم ، ومارسوا المجاهدات الروحيّة ،والمكابدات من أجل الوصول إلى غايتهم .

هوامش البحث :

1- بولعشار مرسلي ،الشعر الصوفيّ في ضوء القراءات النقديّة : المقدمة .

2- ينظر :عبّاس رشيد الدده، الصوفيّة مخصباً للشعريّة : 227-228 .

3- ينظر :ادونيس، الصوفية والسريالية : 27 .

4- ينظر : إبراهيم محمد منصور ،الشعر والتصوف :24 .

5- ينظر : ادونيس، الصوفية والسريالية : 11 .

6- ينظر : ناهضة ستار، بنية السرد في القصص الصوفيّ : 18 .

7- ينظر : اليكس ميكشيللي ، الهوية : 7 .

8- الجرجانيّ ،التعريفات : 216 .

9- ينظر : مجموعة مؤلفين ،الهويّة وقضاياها في الوعي العربي المعاصر : 23 .

10-ينظر : حسن حنفي ، الهويّة : 16 .

11 . ينظر : الهويّة والاغتراب (مقال الكتروني) .

12-الفلسفة ، الهويّة والذات : مارتن هايدجر : 30-31 .

13-ينظر : ابو شعيب السماوريّ، الاختلاف والمغايرة ، أزمة الهويّة :14 .

14- ينظر : حسن حنفي ، الهويّة: 14 .

15- ينظر : أمين معلوف، الهويّات القاتلة : 20 .

16_ سعيد بن بوزه ،الهويّة والاختلاف في الرواية النسويّة: 28 .

17_ اليكس ميكشيللي ، الهويّة : 15 .

18-ينظر : محمد صالح الهرماسيّ ،مقاربة في اشكالية الهويّة: 30 .

19- ينظر : ادونيس، الصوفيّة والسرياليّة : 23 .

20- ينظر: احمد حيدر ، إعادة انتاج الهويّة (دراسات فكرية) : 137 .

21- الحلّاج ، الديوان ومعه أخبار الحلّاج وكتاب الطواسين :152 .

22- المصدر نفسه : 160 .

23- ابن الفارض ، الديوان : 49 .

24- الشِبليّ ، الديوان : 81 .

25- أبو يزيد البسطاميّ ، المجموعة الصوفيّة الكاملة : 115 .

26- أبو مدين شعيب الغوث ، الديوان : 43 .

27- المصدر نفسه : 14 .

28- المصدر نفسه : 30 .

29- ينظر: سلاف خلاوي، اشكالية الهويّة والانتماء عند ادوارد سعيد : 31 .

30- ينظر : قيس النوريّ ،الاغتراب ، اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً : 31 .

31- ينظر :أنور فؤاد ابو خزام ، معجم المصطلحات الصوفيّة : 28 .

32- التوحيديّ ، الاشارات الالهية :82-83 .

33- ينظر : ناهضة ستار ،بنية السرد في القصص الصوفيّ : 18 .

34- الأنصاريّ ، منازل السائرين : 307 .

35- الحلّاج ، الديوان ومعه أخبار الحلّاج وكتاب الطواسين : 118 .

36- أبو عبد الرحمن السُلمي ، الطبقات الصوفيّة : 22 .

37- ديوان ابن الفارض : 40 .

38- ابن عربي ،الفتوحات المكيّة : 4/ 235-236 .

39- ينظر :يوسف زيدان ، شعراء الصوفيّة المجهولون :29 .

40- السهروردي ، الديوان :71 .

41- خلعت هياكلها : تركت الأبدان ، جرعاء الحمى : موضع يشير به السهروردي الى لحظة الفناء .

42- ابن الفارض ، الديوان: 133 .

43- معاني المفردات : سِرْبي: طريقي ، المسيل: سبيل الماء ، بادٍ: ظاهر ، جُذّت: قُطعت ، وارداتي : ما يرد من فيوضات مكة .

44- ابن الفارض ، الديوان: 132 .

45- ينظر :ابن عربي ، الفتوحات المكيّة : 4/ 234 .

46- المصدر نفسه والصفحة .

47- كمال الدين الأدفوي، الطالع السعيد : 452 .

48- ابن منظور ، لسان العرب : 6/ 121 .

49- التوحيديّ ،الاشارات الالهية : 75 .

50- ابن الفارض ، الديوان : 8 .

51- معاني المفردات : لَي : العطف ، سَيمَ : كلف ، جانحاً: مائلاً ، يتأي : يتوقف ، الكاشح : مضمر العداوة .

52- ابن الخيميّ ، الديوان : 51 .

53- كمال الدين الأدفوي ، الطالع السعيد : 590 .

54- عفيف الدين التلمسانيّ، الديوان : 1/ 75 .

55- سُحيراً : وقت السحر ، جُنيب : منقاد .

56- الشعرانيّ ،الطبقات الكبرى : 1/ 286 .

57- كمال الدين الأدفوي، الطالع السعيد : 450 .

58- المصدر نفسه : 451 .

59- المصدر نفسه : 454 .

60- كمال الدين الأدفوي ، الطالع السعيد : 592 .

61- المصدر نفسه : 591 .

62- ابن باجة ، رسائل ابن باجة الإلهية : 42 .

63- الشيخ الحريفيش ،الروض الفائق في المواعظ والدقائق : 117 .

64- السيوطيّ ، مقاليد العلوم : 210 .

65- الشيخ الحريفيش ،الروض الفائق في المواعظ والدقائق : 118 .

66- ينظر : عبد الرحمن بدوي، شطحات الصوفيّة : 1/ 10 .

67- ابو نعيم الأصفهاني ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 9/ 355 .

68- المصدر نفسه : 9/ 371 .

96- ابن الجوزي ، صفوة الصفوة : 4/ 234 .

70- ابن الفارض ، الديوان: 147 .

71- أبو عبد الرحمن السُلمي ، الطبقات الصوفيّة : 88 .

72- ابن الملّقن ، طبقات الأولياء: 135 .

73- أبو عبد الرحمن السُلمي ، الطبقات الصوفيّة : 63 .

74- المصدر نفسه : 95 .

75- أبو مدين شعيب الغوث ، الديوان : 37-38 .

76- المصدر نفسه : 38 .

تراجم شعراء المتصوفة الذين ورد ذكرهم :

(جاء تسلسل الشعراء على وفق الترتيب الزمني)

1/ رابعة العدوية :

أم عمرو بنت اسماعيل العدويّة البصريّة ، مولاة عتيك ،الزاهدة ، العابدة، الخاشعة، الصالحة المشهورة ، كانت من أعيان عصرها وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة ، ومن وصاياها : (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) ، توفيت عام (180 هـ) .

ينظر في ترجمتها: الطبقات الكبرى: 121/1 ، وفيات الأعيان: 2/ 285 ، سير أعلام النبلاء: 241/8 .

2/الحارث المحاسبيّ :

أبو عبد الله الحارث بن أسيد المحاسبيّ ، البصريّ الأصل، الزاهد المشهور، وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن، وله كتب في الزهد والأصول، عُرِفِ بالمحاسبيّ لانّه كان يحاسب نفسه على الدوام ، وكان يقول: (فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الضيافة ،وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء) ، توفيّ عام(243هـ).

ينظر في ترجمته: الطبقات الصوفية:21 ، الطبقات الكبرى: 138/1 ، وفيات الأعيان:57/2 .

3/ ذو النون المصريّ :

أبو الفيض ثَوْبان بن ابراهيم ، وقيل الفيض بن ابراهيم المصري المعروف بذي النون ، الصالح المشهور، ورعاً ، وعالماً ، وحكيماً ، وفصيحاً ، وزاهداً ، وشيخ الديار المصرية ، من كلامه: (إذا صَحَتْ المناجاة بالقلوب ، استراحت الجوارح) ، توفيّ عام (245هـ) .

ينظر في ترجمته: الطبقات الكبرى: 129/1 ، وفيات الأعيان: 1/ 315 ، سير أعلام النبلاء: 11/ 532 .

4/ أبو يزيد البسطاميّ :

أبو يزيد طَيْفور بن عيسى البسطاميّ ،الزاهد المشهور، كان جده مجوسيّاً ثم أسلم ، وكان له أخَوَان زاهدان عابدان أيضاً :آدم وعلي ، والبسطاميّ نسبة الى بسطام ، وهي بلدة مشهورة أول بلاد خراسان من

جهة العراق ، وكان يقول : اختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد ، توفيّ عام (261 هـ) وقيل (264 هـ) .

ينظر في ترجمته: الطبقات الصوفيّة: 25 ، الطبقات الكبرى: 140/1 ، وفيات الأعيان :2/ 531 .

5/ سمنون المحبّ:

سمنون بن حمزة، ويقال سمنون بن عبد الله الخوّاص ، صوفيّ ناسك من الشعراء ، له مقطوعات في غاية الجودة ، وكان يتكلم في المحبّة بأحسن كلام ، وهو من كبار مشايخ العراق ، من كلامه: (لا يعبّر عن شيء إلا بما هو أرقّ منه ، ولا شيء أرقّ من المحبّة، فبمَ يعبّر عنها) ، وهو من أهل البصرة ، سكن بغداد وتوفيّ بها نحو عام (290 هـ) .

ينظر في ترجمته: الطبقات الصوفيّة: 62 ، الطبقات الكبرى : 162/1 ، الأعلام : 3/ 140 .

6/ أبو اسحاق ابراهيم الخوّاص :

أبو إسحاق ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الخوّاص ، وهو أحد من سلك طريق التوكل، وكان من كبار مشايخ وقته، وله في السياحات والرياضات الصوفيّة ما يطول شرحه ، من كلامه: العلم في كلمتين: لا تتكلف ما كُفيتَ ، ولا تُضيع ما استكفيتَ ، وكان يقول: من لم تبكِ الدّنيا عليه ، لم تضحك الآخرة له ، توفيّ عام (291 هـ) .

ينظر في ترجمته: الطبقات الصوفيّة :94 ، الطبقات الكبرى : 1/ 173 .

7/ الجُنيد الصوفيّ :

أبو القاسم الجُنيد بن محمّد بن الجُنيد النهاونديّ الخزّاز القواريريّ ، الزاهد المشهور ، أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه في العراق ، كان شيخ وقته وفريد عصره ، والدهُ الخزّاز شيخ الصوفيّة، كان الجُنيد عفيفاً عازفاً عن الدنيا ، رُزق الذكاء وصواب الجواب وهو المعروف بالجُنيد البغداديّ ، توفيّ عام (297هـ) .

ينظر في ترجمته: الطبقات الكبرى: 1/ 195 ، وفيات الأعيان : 1/ 373 ، سير أعلام النبلاء : 14/ 66 .

8/ الحلّاج :

أبو مغيث ، الحسين بن منصور الحلّاج ، الزاهد المشهور ، وهو من أهل البيضاء ،وهي بلدة بفارس ، ونشأ بواسط العراق ، صحب الجُنيد وغيره ، والناس في أمره مختلفون فمنهم من يبالغ في تعظيمه ، ويعدّه شهيد العشق الالهي ، ومنهم من يكفره ويرميه بالزندقة ، وقد أكثر من الترحال والأسفار والمجاهدة ، توفيّ عام (309 هـ) .

ينظر في ترجمته : وفيات الأعيان : 2/ 140 ، سير أعلام النبلاء : 14/ 314 .

9/ أبو العبّاس بن عطاء الآدميّ :

أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سهل بن عطاء الآدميّ ، من ظِراف مشايخ الصوفيّة وعلمائهم، له لسان في فهم القرآن يختصّ به ، وقد سُئل عن المروءة يوماً فقال : ألا تستكثر لله عملاً ، من كلامه: العلم الأكبر : الهيبة والحياء ، فمن عرى منهما عرى عن الخيرات ، كانت وفاته عام (309 هـ) وقيل (311 هـ) .

ينظر في ترجمته : الطبقات الصوفيّة : 87 ، الطبقات الكبرى :1/ 173 .

10/ أبو بكر الشِبليّ:

أبو بكر دُلف بن جَحْدر ، وقيل جعفر بن يونس وهكذا مكتوب على قبره ، المعروف بالشِبليّ ، الصالح المشهور، خراسانيّ الأصل ، بغداديّ المولد والنشأة ، وكان جليل القدر ، مالكيّ المذهب ، ومجاهداته في أول أمره فوق الحدّ ، والشِبليّ نسبة الى شِبلة ، وهي قرية من قرى(أُسْرُوْشَنَة) بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر ، وسُئل عن الوفاء فقال: هو الإخلاص بالنطق، واستغراق السرائر بالصدق ، وكانت وفاته في بغداد عام (334 هـ) ، وعمره سبع وثمانون سنة .

ينظر في ترجمته: الطبقات الصوفيّة: 115 ، وفيات الأعيان: 2/ 273 .

11/ الشيخ عبد الله الأنصاريّ الهرويّ :

شيخ الاسلام ، والإمام القدوة ، والحافظ الكبير ، أبو اسماعيل عبد الله بن محمّد الأنصاريّ الهرويّ ، مصنّف كتاب (ذَمّ الكَلام) ، وهو من مشايخ خراسان من ذريّة صاحب النبيّ (ص) أبي أيوب الأنصاريّ ، كان بارعاً في اللغة ، وحافظاً للحديث ، وآية في التذكير والتصوّف ،على مذهب الحنابلة ، توفيّ عام (481 هـ) .

ينظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء : 18 / 503 .

12/ السهروردي :

أبو حفص عمر بن محمّد ، العلّامة الفيلسوف ، المنطقيّ ، الملّقب بشهاب الدين السهروردي ، القدوة ،الزاهد ، العارف ، أوحد الصوفيّة ، مَنْ كان يتوقّد ذكاءً ، شافعيّ المذهب ، شيخاً صالحاً ، ورعاً ، كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة ، بارعاً في أصول الدين ، فصيحاً ، لم يناظر أحداً إلا أربى عليه ، قُتل بأمرٍ من والد حاكم حلب (الظاهر) عام (587 هـ) ، عاش ستاً وثلاثين ، وهو صاحب كتاب (حكمة الإشراق) .

ينظر في ترجمته : وفيات الأعيان : 3/ 446 ، سير أعلام النبلاء : 22/ 373 .

13/ أبو مدين شُعيب الغوث :

أبو مدين شُعيب بن الحسين الأندلسيّ الأصل ، شيخ المشايخ ، وسيد العارفين ، وقدوة السالكين ، من الفضلاء أولي الزهد ، كان يقول: كرامات الأولياء نتائج معجزات نبينا (ص) ، وسئل عن الحياء يوماً فقال : أوله دوام الذكر ، وأوسطه الأنس بالمذكور ، وأعلاه أن لا ترى شيئاً سواه ، توفي عام (594 هـ) ، وحمل الى العُباد مدفن الأولياء والصالحين ، ويقول المهتمّين بسيرته أنّ الدعاء عند قبره مستجاب .

ينظر في ترجمته : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : 7/163 .

14/ ابن الفارض :

عمر بن علي بن مرشد الحمويّ الأصل ، المصريّ المولد والدار والوفاة ، المنعوت بالشرف ، له ديوان شعرٍ لطيف ، يصفه الذهبيّ بشاعر الوقت ، صاحب (الاتحاد) الذي قد ملأ به التائيّة ، توفيّ عام (632 هـ) ، وله ست وخمسون سنة .

ينظر في ترجمته : وفيات الأعيان : 454/3 ، سير اعلام النبلاء : 22 / 368 .

15/ محيي الدّين بن عربي :

ابن العربي أبو بكر محمّد بن علي بن محمّد الطائيّ ، العلّامة ، صاحب التواليف الكثيرة ، محيي الدّين الحاتميّ ، المرسيّ ، نزيل دمشق ، الشيخ العارف والكامل المحقق ، أحد أكابر العارفين بالله ، كان ذكياً، كثير العلم ، وكان قد تزّهد وتفّرد وتعبّد وعمل الخلوات ، له شعر رائق ، وعلم واسع ، و ذهن وقّاد ، توفيّ عام (638 هـ) ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

ينظر في ترجمته: الطبقات الكبرى : 329/1 ، سير أعلام النبلاء : 23/ 48 .

16/ ابن الخيميّ :

محمّد بن علي ، أبو طالب ، مهذّب الدين الحليّ ، المعروف بابن الخيميّ ، كان عالماً بالأدب ، اماماً في اللغة ورواية الشعر ، ولد في الحلة المزيدية ، ورحل الى بغداد وسوريا ، وتوفيّ في القاهرة عام (642 هـ)، ومن كتبه (أمثال القرآن) .

ينظر في ترجمته: وفيات الأعيان : 342/2 (ضمن التراجم العارضة) ، الأعلام :6/ 282 .

17/ عفيف الدين التلمسانيّ :

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي ، الشيخ الأديب البارع ، كان كوفيّ الأصل ، حسن العشرة ، كريم الأخلاق ، له حرمة ووجاهة وله في كل عام تصنيف ، شرح الأسماء الحسنى ، وشرح منازل السائرين ، وشرح مواقف النفرّي ، توفيّ بدمشق عام (690 هـ) .

ينظر في ترجمته : فوات الوفيات : 2/ 72-73 .

18/ تقيّ الدّين ابن دقيق العيد :

محمّد بن علي بن وهب ، تقيّ الدّين ابن دقيق العيد القُشيري ، التقيّ ذاتاً ونعتاً ، ذو العلوم الشرعيّة ، والفنون الأدبية ، والمعارف الصوفيّة ، وكان إذا خطب أسهب في البلاغة ، وأطنب في البراعة ، طالما لازم السهر ، مشتغلاً بالذكر والفكر ، توفيّ عام (702 هـ) .

ينظر في ترجمته : الطالع السعيد : 567 وما بعدها .

19/ عبد الغفار الأقصريّ :

عبد الغفار بن احمد بن عبد المجيد (بن عبد الحميد) الأقصريّ المولد ، القوصيّ الدار ، صنّف كتاباً سمّاه (الوحيد في التوحيد) ، وكان له شعر حسن وقدرة على الكلام ، و حال في السماع ، و يُنسب إليه كرامات ، فصيح اللسان ، قوي الجنان ، توفيّ عام (708 هـ)، وقد ذكر الشعرانيّ في طبقاته الكبرى أنّ وفاته كانت (سنة نيف وسبعين وستمائة) ، وهو خطأ ، بحسب ما أورد محقق كتاب الطالع السعيد في هامش الترجمة للشاعر .

ينظر في ترجمته :الطبقات الكبرى :1/ 286 ، الطالع السعيد : 323– 324 .

20/ عمر بن عيسى بن نصر :

عمر بن عيسى بن نصر ، بن محمّد بن علي.. بن سعد بن تيم التيميّ الأمير مجير الدّين اللمطيّ القوصيّ ، كان فاضلاً ، نحوياً، شاعراً، أديباً، شريف النفس عزيزها، لا يصبر على الذل، كبير المروّة ، كثير التعبد ، صحيح الودّ ، حافظ العهد ، توفيّ في قوص عام (721 هـ) ، وقد بلغ من العمر ثلاثاً وثمانين سنة .

ينظر في ترجمته : الطالع السعيد : 448 وما بعدها

المصادر والمراجع :

1. ابن باجة، أبو بكر بن محمد بن الصائغ ، رسائل ابن باجة الالهية ، تحقيق: ماجد فخري، بيروت، 1968 م.

2. ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الصفوة ، تحقيق : محمود فاخوري ، ط1، مطبعة دار الشعب ، القاهرة ، 1393 هـ.

3. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمّد ت (681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق : إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت .

4. ابن الخيميّ ،مهذّب الدين أبو طالب ، ديوان ابن الخيميّ ، تحقيق: ميسم عدنان الصوّاف ، ط1 ، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة ، دمشق ، 1436 هـ، 2015 م .

5. ابن عربي ، محيي الدين ت(638 هـ)،الفتوحات المكيّة، ضبط : أحمد شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمّد علي بيضون ، بيروت ، لبنان، 1420 هـ ، 1999 م .

6. ابن الفارض، ديوان ابن الفارض، دار صادر ، بيروت ، د. ت .

7. ابن الملّقن ،أبو حفص ، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شربية ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، 1973 م .

8. ابن منظور الأفريقي ، أبو الفضل جمال الدّين ت(711هـ)،لسان العرب ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، مُذيّل بحواشي اليازجيّ و جماعة من اللغويين .

9. أبو خزام ، أنور فؤاد ،معجم المصطلحات الصوفيّة، مكتبة لبنان للنشر ، بيروت ، 1993 م .

10. الأدفوي ، أبو الفضل كمال الدّين(ت 748 هـ) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق : سعد محمد و طه الحاجريّ ، الدار المصريّة للتأليف والترجمة ، 2001 م .

11. ادونيس ،الصوفيّة والسرياليّة ، ط3 ، دار الساقي ، د . ت

12. الأصفهاني ، أبو نعيم احمد بن عبد الله، حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1357 هـ ، 1938 م .

13. الأنصاريّ ، منازل السائرين ، معهد الآداب الشرقيّة ، بيروت ، د.ت .

14. بدوي ، عبد الرحمن، شطحات الصوفيّة ، الجزء الأول ، ط3، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1978 م .

15. البسطاميّ ، أبو يزيد ، المجموعة الصوفيّة الكاملة ويليها كتاب تأويل الشطح ، تحقيق: قاسم محمّد عبّاس ، ط1 ، دار المدى ، سوريا ، دمشق ، 2004 م .

16. التلمسانيّ ،عفيف الدّين ، ديوان عفيف الدين التلمساني ،تحقيق : يوسف زيدان ، الجزء الأول ، دار الشروق ، 2008 م .

17. التلمسانيّ المقريّ، شهاب الدين أحمد بن محمّد ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: إحسان عبّاس ، ج7 ، دار صادر ،بيروت ، 1900 م .

18. التوحيديّ ، أبو حيان ،الاشارات الالهية ،تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، الجزء الاول ،مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1950 م .

19. الجرجانيّ ، الشريف ت(816هـ)، معجم التعريفات، تحقيق : محمد صديق المنشاويّ ، دار المنشاويّ ، دار الفضيلة للنشر، القاهرة ، 2004 م .

20. الحريفيش ، الشيخ ،الروض الفائق في المواعظ والرقائق، القاهرة ، مصر ، 1304 هـ ، 1886 م .

21. الحلّاج ،الديوان ومعه اخبار الحلّاج وكتاب الطواسين : تعليق: محمد باس عيون السود، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، د.ت .

22. حنفي ، حسن ،الهويّة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2012 م .

23. حيدر ،أحمد ،إعادة انتاج الهويّة (دراسات فكريّة) ، ط1 ، دار الحصاد ، دمشق ، 1997 م .

24. الذّهبي ،شمس الدّين ابو عبد الله ت (748 هـ) ، سير أعلام النبلاء ،تحقيق : مجموعة مؤلفين بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط3 ، مؤسسة الرسالة ، 1405 هـ ، 1985 م.

52. الزركليّ ، خير الدين بن محمود ت (1396 هـ)، الأعلام ، ط 15 ، دار العلم للملايين ، 2002 م .

26. زيدان ، يوسف ، شعراء الصوفيّة المجهولون، ط2 ، دار الجيل ، بيروت ، د.ت .

27. ستار ، ناهضة ،بنية السرد في القصص الصوفيّ (المكونات والوظائف) ، اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 2003 م .

28. السلميّ ، أبو عبد الرحمن ت (412 هـ)، الطبقات الصوفيّة ، تحقيق: أحمد الشرياصيّ ، ط2 ، طبعة كتاب الشعب ، 1419 هـ ، 1998 م .

29. السهروردىّ، أبو الفتوح بن حبش بن أميرك ، ديوان السهروردىّ المقتول ، شرح و تحقيق : كامل مصطفى الشيبيّ ، بغداد ، مطبعة الرفاه ، 2005 م .

30. السيوطيّ ، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين ،مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق : محمد ابراهيم عبادة ، ط1 ،مكتبة الآداب ، القاهرة ،مصر ، 1424هـ ، 2004 م .

31. الشِبليّ ، أبو بكر جعفر بن يونس ، ديوان الشِبليّ ، تحقيق: كامل مصطفى الشيبيّ ، ط1 ، مطابع دار التضامن ، بغداد ، 1967 م .

32. شُعيب الغوث ، أبو مدين ، ديوان أبي مدين ، جمع وترتيب: عبد القادر سعود و سليمان القرشيّ ،ط1 ، دار كتاب – ناشرون ، بيروت ، لبنان ، 1432هـ ، 2011 م .

33. الشعرانيّ ،عبد الوهاب ،الطبقات الكبرى المسمّى لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفيّة، تحقيق : أحمد عبد الرحيم السايح و توفيق علي وهبه ، ط1 ،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1426 هـ ، 2005 م .

34. الكتبيّ ، محمّد بن شاكر الملّقب بصلاح الدين (ت 764 هـ) ، فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عبّاس ،ط1 ، الجزء الثاني، دار صادر ، بيروت ، 1974 م .

35. مجموعة مؤلفين ،الهويّة وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، تحرير وتقديم : رياض زكي قاسم ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، بيروت ، 2013 م .

36. معلوف ، أمين ،الهويّات القاتلة، ترجمة : نهلة بيضون ، ط3 ، دار الفارابي ، بيروت . لبنان، 2015 م .

38. منصور ، ابراهيم محمّد، الشعر والتصوف (الأثر الصوفيّ في الشعر العربي المعاصر) ، ط1، دار الأمين للنشر والتوزيع ، ، القاهرة ، 1999 م .

39. ميكشيللي، اليكس، الهويّة ، ترجمة : علي وطفة ، ط1 ، بيروت ، 1993 م .

40. هايدجر، مارتن، الفلسفة ، الهويّة والذات، ترجمة :محمّد مزيان ، تقديم : محمّد سبيلا ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، 2015 م .

41. الهرماسيّ ، محمّد صالح ، مقاربة في اشكالية الهويّة ، ط1 ،المغرب العربي المعاصر– دار الفكر ، دمشق، 2001 م .

الرسائل والاطاريح :

1. ابن بوزة ،سعيد :الهويّة والاختلاف في الرواية النسويّة في المغرب العربي ،اطروحة دكتوراة ، جامعة حاج لخضر – باتنة ، كلية الآداب والعلوم الانسانيّة ، قسم اللغة العربيّة ، 2007 – 2008 م.
2. خلاي ، سلاف :اشكالية الهويّة والانتماء عند سعيد ادوارد ، رسالة ماجستير ، جامعة قاصدي مرباح . ورقلة ، كلية العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة ، قسم العلوم الاجتماعيّة ، شعبة الفلسفة ، 2016 _ 2017 م .
3. مرسلي ، بولعشار : الشعر الصوفيّ في ضوء القراءات النقديّة الحديثة_ ابن الفارض انموذجا، اطروحة دكتوراة ، جامعة وهران – احمد بن بلة 1،كلية الآداب والفنون، قسم اللغة والادب العربي ، الجزائر، 2014 – 2015 م.

الدوريّات :

1. السماوريّ ، أبو شعيب :الاختلاف والمغايرة ، أزمة الهويّة، مجلة رواية ، مؤسسة سطور للثقافة ، بغداد ، العدد (2) ، ت 2 ، 2017 م .
2. النوريّ ، قيس :الاغتراب ، اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج 10 ، ع1 ، ابريل ، ابريل – يونيو ، 1979 م .
3. الدده ، عبّاس رشيد :الصوفيّة مخصبا للشعريّة ، نحو قراءة سيكولوجيّة لجدارية محمود درويش، مجلة كليّة الآداب ، العدد (97) .

المقالات والمواقع الالكترونيّة :

1. الهويّة والاغتراب ، مقال نشرته صحيفة الاتحاد على الموقع التالي :

https : www .alittihad.ae